﴿ عادات منكرة ﴾

اشرنا في كثير مما تقدم من اعداد هذه المجلة الى بعض عادات واخلاق انكرناها على قومنا ورجونا اصلاحها والاقلاع عنها تقريباً الى نواحي الكمال وابتعاداً عن مواطن الانتقاد وهو شأن يسرنا ان يكون له حسن الوقع لدى القراء ونرجو ان نسر ببلوغ الغاية حين تكرار التنبيه اليه لان من تلك العادات ما يعتبر في ظاهره جزئياً غير مهم ولكنه قد يترتب عليه ما يكون كلياً مهماً لان النقص لا يمكن ان يعتبر صغيراً مهما قل

ولقد كنا نتهيأ للبحث عن بعض ما يبدو لنا من تلك العادات والاخلاق بارادة التنبيه اليها كما اعتدنا فوردنا من احدى السيدات الفاضلات مقالة موجزة في شأن عادة يجري عليها في بلادنا اكثر السيدات الوطنيات فآثرنا اثباتها بمعناها ملتمسين ان تكون كافلة بنيل الاصلاح المطلوب منها لانه ميسور ممكن

اما الذي اشارت اليه السيدة في مقالها فهو زيارة النساء المسيحيات للوطنيات المسلمات فانها ذكرت عنها انها ذات حالتين متناقضتين وذلك ان المسيحية حين تزور المسلمة تقابل منها بغاية الاجلال والاكرام وترى من حسن ذوقها واكتمال ادبها وظرف حديثها ولطف ضيافتها ما يدلها على انها قد احتوت على الكياسة وسداد السيرة ثم تنصرف عنها آملة ان ترد لها هذه الزيارة على حسب الاصول المألوفة فلا ترى من ذلك شيئاً ولقد تدوم على ذلك اياماً وهي تنتظر فلا تكون النتيجة الا عتب تلك الصديقة عليها

لانها لم تزرها ثانية وثالثة كانها تعتبر ان الزيارة منها على كونها مسلمة لا تصح وان زيارة صديقتها لها على كونها مسيحية من الامور الواجبة التي لا بد منها مع ان كلتا الزائرة والمزورة تكونان في رتبة واحدة وليس ثم من شيء بينهما يدعو الى تنافر الحقوق

ولقد اعترفت هذه السيدة بان الامر غير حاصل عن نوع من الكبرياء دعا الى هذا الامتناع عن الزيارة لان المزورة التي تقابل زائرتها بذلك اللطف الذي وصفناه لا يصح ان ترمى بوصمة الكبرياء والانفة ولكن الامر كله صادر على حسب ما يبدو من كونها مسلمة ذات قناع وانه قل ان تجوز لها زيارة المسيحيات وذلك حذراً من وجود الرجال بينهن او لان ازواجهن لا يسمحون لهن بهذه الزيارة خشية من السبب عينه مع انه لدى الحقيقة لا يعتبر سبباً بل هو اذا عد سبباً فانه يكون سبب موجدة وانقطاع مودة وهو ما يخالف اداب الاجتماع والحالة التي تدعو الى الاتفاق وزيادة المودة لان مصافاة الرجال من كلا الفريقين لا تكفي وحدها لتأييد الوداد بل لا بد من مصافاة النساء أيضاً لانها اهم واولى اذ قل ان يكون صفاء بين رجال اسرة واسرة اذا كان بين نسائيهما موجدة وانقطاع . وعدا هذا فان وجه الحذر ممتنع بالاطلاق لان السيدة المسلمة المهذبة لا تزور الا مثيلاتها من المسيحيات المهذبات اللواتي يبتعد جداً ان يكون في منازلهن ما يدعو الى الريب او يكون في دورهن رجال يخالطون الحرم حين هذه الزيارة . وعلى هذا اذا عدّ امتناع الزيارة عن كبرياء لم يكن ذلك بمحمود بل كان من اكبر النقائص والعيوب التي يجب اصلاحها والاقلاع عنها واذا عد من القبيل الثاني وهو الحذر من السفور لدى الرجال لم يكن ذلك بعذر مقبول لان

وجه الحذر ممتنع لما تقدم من سبب التأدب والمبالغة في سلوك سبيل اللياقة

ذلك مابعثت به الينا هذه الفاضلة وهو صواب يجدر الانتباه اليه واتباع الاشارة فيه لاننا اذا كدنا ان نتفق على وجوب رفع الحجاب عن المرأة المسلمة رفعاً تاماً في كل مجلس وناد ارادة مشاركتها والانتفاع بحريتها فمن حقنا ان نتفق اولا على زيارة المرأة للمرأة بالاقل او جعل ذلك كمقدمة وتمهيد للشأن الاول

بقي امر آخر لابأس من ختام هذا القول به وهو زيارة الرجال المسيحيين للمسلمين او زيارة المسلمين للمسلمين انفسهم فانها وان تكن لاشكوى منها من حيث الشأن الاول المخصوص بالنساء الا انها مما يشكى منها من حيث عدم اتباع اللياقة فيها وذلك ان الرجل في هذه البلاد يزور صديقه المسلم في منزله فاذا وجده فيه حيث يستقبل الزائرين لقي منه اتم ما يرجى من حسن الضيافة وكرم الخلق وطيب الحديث واذا لم يجده حيث الاستقبال فلا يكون من مقابل له غير الخادم فيسأله عن مخدومه فيقول له انه «في الحريم» ثم يذهب فيخبره بقدومه ويمكث الزائر منتظراً حتى يمل مع ان ذلك الوقت يكون وقت زيارة لاوجه للعذر فيه بطول الغياب او قد يكون الزائر ارفع مقاماً من المزور وليس من الادب ان يحمله كثرة الانتظار وقد يكون قادماً لشغل هام لايصح فيه التأخير واضاعة الوقت ولكن المزور مع كل اتفاق هذه الحالات في زائره لايعتبر منها شيئاً بل يظل معتصماً بدار الحريم وهو يظن انه معتصم بامنع عذر مع ان لكل الناس بجميع اجناسهم حرماً مثله ولكن مامن قوم ينصرفون عن زوارهم ويحملونهم مضض الانتظار بحجة الحريم او سواها مثل بعض الاقوام في بلادنا وهي

عادة يحسن الاقلاع عنها اما باستقبال الزائر حين قدومه الا اذا كان المانع هاماً واما بالاعتذار اليه وتكليفه زيارة اخرى يقابل فيها كما ينبغي بدلا من تركه في قاعة الجلوس مدة طويلة لاسمير له فيها غير الحيطان والكراسي او شيء من ادب الخادم وكثرة سوءالاته التي توهم الزائر بالاعتقاد فيه بانه كشرطي آت لضبط جناية او موظف محكمة قادم لبسط الحجز على المنزل وفي كل هذا مافيه من منافرة اللياقة ومخالفة اداب العشرة والاجتماع مما يكون كل الذنب فيه لصاحب المنزل الذي يسلط خدامه على كرامته يتصرفون بها كما يشاؤون وقد يضربونه احياناً بما يعتقده الزائرون فيه من الخشونة والجفاء مع انه قد يكون على عكس ذلك ولا خشونة الا من خادمه الذي تلقن هذه الاداب من حيث لاندري حتى تراه لايعرف من شروط الضيافة الا قوله للزائر ان سيده «خرج» او «ركب» او «في الحريم» او مثل هذه العبارات التي لايفهم منها هل يقيم ام ينتظر او هل اعتبر بصفة متسول او زائر. وان منازل يكون رجال التشريفات فيها من البرابرة والعبيد لخير لاصحابها ان لايعاملوا احداً حتى لايعاملهم احد ولا يزورهم انسان

على اننا نحمد الله ان هذه العادة وان تكن لاتزال شائعة الا انها لاتتبع الا لدى اقوام من رجال الدهر القديم الذين تشبه منازلهم منازل القرون الوسطى بامتناعها وتحصينها واما سائر بيوت المجد الجديدة فانها تجري على ما يرسمه حسن الذوق وتفرضه شروط الانسانية وآداب الاجتماع. ولما كانت هذه البيوت هي الوصلة الوحيدة بين هؤلاء وبين من يشكى من عاداتهم كان الرجاء موكولاً اليهم بان يتولوا اصلاح مافسد من عادات جيرانهم وتعليمهم طرق التأدب في معاملة الناس لان هذه النقائص وان تكن جزئية

فانها تدل على وجود غيرها من النقائص الكلية ولكن متى صلحت نقيصة اعدى اصلاحها سواها حتى يستتم الفضل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

﴿اماني طبية﴾

ما برح الاطباء منذ توصلوا الى اكتشاف جراثيم الامراض واسبابها وهم يتابعون البحث والتجريب لمداواتها بها نفسها كما فعلوا في اكثر العلل وكانوا في جلها ناجحين لان هذا المبدأ كان صادقاً معهم ولا يبعد ان ينجحوا به في علاج كل علة كانت عاصية حتى الان . ولكن قتل الجراثيم بتسليط بعضها على بعض اي مداواة الداء بداء آخر يدخل عليه لم يكن اقل نفعاً ونجاحاً من تلك الطريقة الاولى على حسب المثل القائل لا يفل الحديد الا الحديد او لا يقطع الالماس الا الماس ولهذا اشتغلوا به وبدا لهم شيء من النجاح لا يبعد ان يستتم لهم كله على توالي التجربة والمراقبة

ولقد كان في جملة الامراض التي بدا لهم النجاح بتسليط غيرها عليها التهاب اللوزتين فانهم شاهدوا في لندن امرأة اصيبت به مع زوجها في حين واحد ولكن اتفق للزوج في اثناء علته هذه انه اصيب بشيء من التهاب المفاصل فلم يكد يشعر بألم هذه العلة الجديدة حتى أن العلة الاولى قد فارقته كل الفراق حتى لم يعد يشعر منها بشيء فعجب لهذه المفاجأة التي اختص بها دون زوجته حتى تبين للاطباء ان شفاءه لم يكن الا بدخول الداء

الجديد على دائه القديم ثم كان بعد ذلك انه شفي من الداءين جميعاً لان جراثيمهما قد اضعف بعضها بعضاً حتى هلكت كلها وذكروا عن أمرأة اخرى انها كانت مصابة بعسر الهضم المزمن الى حد حار به الاطباء ووصلت به العليلة الى حد التلف ولكنه قدر لها في اثناء سقمها انها اصيبت بالاكزيما في عنقها وظهرها فما كادت تشعر بالم هذا الضيف الجديد حتى شمرت بالجوع وصارت تأكل هاضمة كل طعامها بعد ان مر عليها عشر سنين لم تكن تهضم الا ما يقوم بالرمق ولكنها مالبثت قليلا حتى شفيت من الاكزيما فراجعها ألم المعدة في الحال ثم عاودها المرض الجديد ففارقها المرض القديم بحيث كان كلاهما لا يجتمعان في حين واحد فاستدلوا على ان الداءين عدوان وانهما لا يكونان في جسم واحد

على ان الاكزيما لم تكن بالعلة الوحيدة التي يذهب بها سقم المعدة بل شاهدوا ان الهواء الاصفر يكون له مثل هذا التأثير وقد كان ذلك في رجل من بلاد الانكليز كان مصاباً بهذه العلة من دهر طويل دون ان يستطيع لها شفاء حتى اتفق له ان ذهب الى مدينة همبورغ التي زارها الهواء الاصفر من اعوام قليلة فقدر له ان يصاب به فنقل الى المستشفى وعولج به حتى شفي من علته ولكنه ما شعر بارتداد العافية اليه حتى وجد ان عسر الهضم قد زايله مزايلة من لا يعود لانه عاش بعد ذلك وهو يكاد يهضم الحديد كما روي عن نفسه

ولقد كان في جملة من نبهوا لهذا الشأن الجليل وراقبوه طبيب من اطباء جرمانيا فوجد ان جراثيم الحمى التيفوسية والحمراء اذا دخلت جسم مصاب بداء البول السكري كانت اعظم عامل على شفائه وذلك لانها تلتهم كل ما في